

سيمائية العنوان في سورة الحديد المباركة

إعداد

د. صفاء رضا علي عابد

ملخص بالعربي:

مقاربة اسم السورة سيميائياً: هي محاولة لاستتطاق العلامة الأولى للنص القرآني؛ للكشف عما تكتنزه من دلالات، تساعد على فهم البنية العميقة لمتن السورة ويعد العنوان نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شيفرته الرامزة؛ والحديد الذي ذكر هنا مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وخوذ، تتويهاً به إذا هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته، وإلهام الناس صنعه؛ لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفاع المعتدين ونجد العنوان أيضاً يركز على جانب معين جعلنا نقيده حرية التأويل، والعنوان هنا ليست كلمة بلا قيمة (حاشا لله)، بل هو بمثابة العتبة التي ندخل بها إلى النص، ويعتبر اسم السورة نصاً مستقلاً في حد ذاته، يتطلب لفهمه وتأويله تحليل لغوي لبنيته السطحية، وقراءة لبنيته العميقة، وذلك بغية فهم متن السورة من خلال اسمها، فاسم السورة ومنتها كل لا يتجزأ، فكلاهما مكمل للآخر؛ وبهذا ترتبط كلمة الحديد ارتباطاً عضوياً بمتن السورة؛ وذلك لأن الحديد: هو الملجأ الوحيد للناس حين يعرضون للحروب، فمدار موضوع السورة كله كان حول الحديد محتاجين الناس إليه دون سواه في السلم والحرب.

كلمات مفتاحية: سيميائية العنوان _الحديد.

summary

Approaching the name of the surah semiotically: It is an attempt to interrogate the first sign of the Qur'anic text. To reveal the connotations it holds that help to understand the deep structure of the body of the surah. The title is a semiotic system with semantic and symbolic dimensions, which entice the researcher to trace its connotations and try to decipher its symbolic code. And the iron that was mentioned here is what is meant by the iron of weapons, such as swords, shields and helmets. You should mention it if it is a trace of God's wisdom in creating its material, and inspiring people to make it. In order to obtain benefits for supporting the religion and defending the aggressors, we also find that the title focuses on a specific aspect that made us restrict freedom of interpretation.

The title here is not a word without value (God forbid), rather it is the threshold by which we enter the text, and the name of the surah is considered an independent text in itself, which requires a linguistic analysis of its superficial structure, and a reading of its deep structure, in order to understand the body of the surah through its name. , So the name of the surah and its text are an indivisible whole, so both of them are complementary to the other; Thus, the word iron is organically linked to the body of the surah. This is because iron: It is the only refuge for people when they are exposed to wars, so the whole topic of the surah revolved around iron, people need it only in peace and war.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلي آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛ فالقرآن معجزة الله الخالدة التي لا تنتهي بانتهاء الأيام ولا تنقضي بانقضاء السنين والأزمان، وسيميائية العنوان تتبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن؛ ليفرض أعلى فعالية تلقى ممكنة، مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل. كما يشكل العنوان أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي، وفي هذا البحث نبين ما يلي: المبحث الأول: مقارنة اسم السورة سيميائيا.

المبحث الثاني: مستويات تأسيس العنوان للسورة.

المبحث الأول: مقارنة اسم السورة سيميائيا

العنوان: هو البنية النصية الكلية، التي تصلح لعنونة مجموعة كبيرة من النصوص؛ نظرا للترابط الدلالي بينهما، فإذا كان العنوان كما هو متداول في علم العنونة نصا مصغرا يختزل ويجمع المقاصد المفصلة والموسعة في النص المكبر؛ فإن الحديد؛ عنوان من حيث اختزال للكليات الموسعة والمفرعة في ثناياه، إن معاني الحديد ومقاصدها الموجزة؛ بمثابة عنوان للمقاصد الكبرى للنص الذي يندرج تحته، وآياتها المعدودة بمثابة إشارات إلى معارف وقضايا كثيرة، فهي تقدم الجزء (النواة)، وتحتفظ للمجتهد المؤول باكتشاف الفروع، وتشبيد معاني النص الأكبر، وإنشاء افتراضات وحدوس عنه¹

¹ العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٣٧.

إن مقارنة اسم السورة سيميائياً: هي محاولة لاستنطاق العلامة الأولى للنص القرآني؛ للكشف عما تكتنزه من دلالات، تساعد على فهم البنية العميقة لمتن السورة، كما يساعد في تعرية العنوان وبيان سبب اختياره.¹

« فالعلاقة بين العنوان ونصه قائمة على التأثير و التآثر، تأثير النص الأول (العنوان) في النص الثاني (المتن)، ومن ثم تأثير النص الثاني (المتن) في النص الأول (العنوان)؛ إذ يضعنا العنوان ضمن قنوات وأفهام احتمالية تظل تمارس تأثيرها في موقفنا من النص، و تسوق القارئ إلى احتمالات تأويلية دون غيرها، لا يستطيع أن يتجاوزها إلا بعد أن تدخل تأثيرات المتن؛ حيث تبدأ في داخل المتلقي عملية تفاعل، وصراع، وتكونات مفهومية، وتنتصر فيها ادراكات وتأويلات على غيرها، وتترجع تأويلات واحتمالات لصالح غيرها؛ من خلال تفاعل متبادل. يظل العنوان مرسلًا لأضوائه التي زودنا بها في البداية، ويأخذ المتن في تزويدنا بإشعاعاته الجديدة التي موقعها بإزاء العنوان، لتحدد لنا في نهاية المطاف التأويل المناسب والاحتمالات التي يسهم فيها العنوان والمتمن معا.»²

يعد العنوان نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شيفرته الرامزة. ومن هنا فقد أولى البحث السيميائي جل عنايته؛ لدراسة العنوانات في النص الأدبي، وقد ظهرت بحوث ودراسات لسانية سيميائية كثيرة خصصت جزءاً كبيراً منها لدراسة العنوان وتحليله من عدة نواح: **تركيبية ودلالية وتداولية**، وآية ذلك أن العنوان: هو أول عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميائي قصد استنطاقها واستقراءها بصرياً ولسانياً، وأفقياً وعمودياً.³

¹ أسماء السور في القرآن الكريم، مقارنة لسانية سيميائية، سليمة جلال، رسالة ماجستير في الأدب العربي، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م، ص ٤٨.

² نفسه، ص ٤٩.

³ سيمياء العنوان، بسام موسى قطوس، أستاذ النقد الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، وزارة الثقافة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٣٣.

وسيميائية العنوان تتبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن؛ ليفرض أعلى فعالية تلقى ممكنة، مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل. كما يشكل العنوان أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي، ومن هنا، فإن على المتلقي أن يقرأ العنوان من مستويين:

المستوى الأول: مستوى ينظر فيه إلى العنوان بوصفه بنية مستقلة لها اشتغالها الدلالي الخاص.

المستوى الثاني: مستوى تتخطى فيه الإنتاجية الدلالة بهذه البنية حدودها متجهة إلى العمل، ومشبكة مع دلاليته دافعة، ومحفزة إنتاجيتها الخاصة بها.

والعنوان عدا عن كونه يشكل حمولة دلالية، فهو قبل ذلك: علامة أو إشارة تواصلية له وجود فيزيقي / مادي، وهو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المرسل (الناصر) والمتلقي أو مستقبل النص.¹

والعنوان، بما هو إشارة سيميائية تأسيسية، قد يدفعك إلى أن تعيد قراءة شيء كان مألوفاً لديك بل هو جزء من ثقافتك، ولكنه يغريك بإعادة قراءته؛ لأنه يفجر فيك طاقات جديدة، وكأنه مع العنوان يبدأ فعل القراءة، ومن ثم فعل التأويل.² ومثال ذلك: عنوان سورة الحديد المباركة:

فهذا العنوان مألوف في حياتنا الاجتماعية والسياسية، لكننا حين نقرأه عنواناً لسورة من سور القرآن الكريم، فإننا نعيد حساباتنا، وننشط المخيلة؛ لنربط ما قد مضى بما هو حاضر، أو بما قد يحدث.

فالعنوان هنا يشكل نقطة مركزية، أو لحظة تأسيس بكر يتم منها العبور إلى النص؛

حظي العنوان بما هو إشارة وعلامة ذات أبعاد سيميائية دلالية بأهمية كبيرة خاصة أنه يشمل أول لقاء بين المرسل جل شأنه والمتلقي وهو أول ما يواجه المتلقي

¹ نفسه، ص ٣٦.

² نفسه.

عند قراءته للنص وهو العتبة التي تؤسس وعي المتلقي وهو متناسق مع الموضوع الذي أتى تحته.

فالعنوان هنا (سورة الحديد)، وهذا اللفظ وإن ذكر في سورة الكهف في قوله تعالى: "أتوني زير الحديد"، وهي سابقة في النزول على سورة الحديد على المختار، فلم تسم به؛ لأنها سميت باسم الكهف؛ للاعتناء بقصة أهل الكهف؛ ولأن الحديد الذي ذكر هنا مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وخوذ، تتويها به إذا هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته، وإلهام الناس صنعه؛ لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفاع المعتدين كما قال تعالى: " وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَبْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ " (الحديد: ٢٥).^١

إن القراءة الفاحصة للعنوان بوصفه بنية مختزلة، والاستقراء الداخلي للوظائف التي يؤديها، ربما لا تمكننا بسهولة من فهم دلالة العنوان، وحسم مغزاه، بل لا بد أحيانا من العودة إلى قراءة النص الأكبر ومحاولة مفاوضته، أو مناقشته، أو الحوار معه؛ للاقتراب من فك شيفرته، والعودة إلى العنوان من ثم لمساءلته هو الآخر، ومفاوضته في ضوء ما تحصل لنا من معرفة النص. والسبب في ذلك واضح؛ وهو أن العنوان مكثف ويفتقر إلى سياق، وهذا الافتقار إلى السياق يمنحه دلائل كثيرة، ويجعله يمتلك فضاء واسعا من الدلالات، التي يصعب، إن لم نقل يستحيل حصرها.^٢

ومقصود سورة الحديد: بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث إلى الأزواج الثلاثة المذكورة في السورتين الماضيتين عنها (الرحمن والواقعة) من الثقلين؛ تحقيقا لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال؛ تحقيقا لتنزهه عن " كل شائبة " المبدوءة به هذه السورة المختوم به ما قبلها الراد لقولهم:

^١ نفسه.

^٢ نفسه، ص ٤٣.

" أَيْدَا مِثْنَا وَكُنَّا تَرْبَاً وَعِظَاماً أَيْثَا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ (٤٨)" (الواقعة: ٤٧، ٤٨)، المقتضى لجهاد من يحتاج إلى الجهاد ممن عصى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالسيف، و ما ترتب عليه من النفقة؛ ردا لهم عن النقائص الجسمانية. ^١ و إعلاء إلى الكمالات الروحانية التي دعا إليها الكتاب؛ حذرا من سوء الحساب يوم التجلي للفصل بين العباد بالعدل؛ ليدخل أهل الكتاب و غيرهم في الدين طوعا أو كرها، و يعلم أهل الكتاب الذين كانوا يقولون: ليس أحد أفضل منهم، فضيلة هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) على جميع من تقدمه من الرسل عليهم الصلاة و السلام بعموم رسالته و شمول خلافته، ^٢ أو انتشار دعوته و كثرة أمته؛ تحقيقا لأنه لا حد لفائض رحمته سبحانه؛ لتكون هذه السورة التي هي آخر النصف الأول و التي بعدها التي هي أول النصف الثاني من حيث العدد؛ غاية للمقصود من السورة التي هي أوله عند الالتفات والرد، كما كانت السورة التي هي غاية النصف الأول في المقدار و هي الإسراء، وكذا السورة التي هي أول النصف الثاني وهي الكهف؛ كاشفتين لمقصد الأولى فيما دعت إليه من الهداية و شددت إليه من الإنذار، على ذلك دل اسمها الحديد بتأمل آياته وتدبر سر ما ذكر فيه و غاياته، أسند صاحب الفردوس عن جابر (رضي الله عنه)؛ أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت الثلاثاء. ^٣

وتعقب الباحثة: إن الحديد من أهم العناصر والموارد التي خلقها الله ولولاه لما استقامت الحياة فالأمة عامة بحاجة إلى هذا العنصر في البناء والقوة وغير ذلك من الأمور التي تنتفع بها وترفع من شأنها كما أن الصورة تمارس أثرا نفسيا ضاغطا وفعالا على المتلقي ؛ فالقصد منها توجيهه الوجهة الصحيحة التي أرادها الله تعالى له

^١ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) دار

الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الجزء التاسع عشر، ص ٢٤٨.

^٢ نفسه، ص ٢٥٠.

^٣ نفسه.

فهي وسيلة مهمة وفعالة التي سعى الحق سبحانه عن طريقها إلى هداية عباده وتقريبهم من الجنة وإبعادهم عن النار وعذابها

اختصاص كل سورة بما سميت به: ولا شك أن العرب تراعى في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب، يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق؛ لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزي، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها وسميت سورة النساء بهذا الاسم؛ لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام؛ لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: " وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرْشًا " .

(الأنعام: ١٤٢)، إلى قوله: " أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ " (البقرة : ١٣٣)، لم يرد في غيرها كما ورد ذكر النساء في سور، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها.^١

سميت سورة الحديد بهذا الاسم؛ لأنها تناولت موضوع نزول الحديد في إحدى آياتها، وهي السورة التي تناولت تخصيص الحديث عن هذا العنصر، فلم يُذكر مخصصاً في غير هذا الموضع من القرآن الكريم، فكان سبباً في تسمية السورة بهذا الاسم، حيث قال تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" (الحديد: ٢٥).^٢

^١ البرهان في علوم القرآن (سبق ذكره) ص ١٩٠.

^٢ سبب تسمية سورة الحديد بهذا الاسم، شبكة الإنترنت، مقال،

<https://alwafd.news/%D8%AF%D9%86%D9%8A%D8%A7->

أغراضها: التذكير بجلال الله تعالى، وصفاته العظيمة، وسعة قدرته وملكوته، وعموم تصرفه، ووجوب وجوده، وسعة علمه، والأمر بالإيمان بوجوده، وبما جاء به رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وما أنزل عليه من الآيات البينات.

والتنبيه لما في القرآن من الهدى وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه. والتحريض على الإنفاق في سبيل الله، وأن المال عرض زائل لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله.¹

والتخلص إلى ما أعد الله للمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة من خير، وضد ذلك للمنافقين والمنافقات، وتحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلب التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم، من إهمال ما جاءهم من الهدى حتى قست قلوبهم، وجر ذلك إلى الفسوق كثيرا منهم، والتذكير بالبعث، والدعوة إلى قلة الاكتراث بالحياة الفانية، والأمر بالصبر على النوائب، والتتويه بحكمة إرسال الرسل والكتب؛ لإقامة أمور الناس على العدل العام، والإيماء إلى فضل الجهاد في سبيل الله.²

وتنظير رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) برسالة نوح وإبراهيم (عليهما السلام) على أن في ذريتهما مهتدين وفاسقين.

وأن الله أتبعهما برسل آخرين: منهم عيسى (عليه السلام) الذي كان آخر رسول أرسل بشرع قبل الإسلام، وأن أتباعه كانوا على سنة من سبقهم، منهم مؤمن ومنهم كافر.

[%D9%88%D8%AF%D9%8A%D9%86/3719601-%D8%B3%D8%A8%D8%A8-%D8%AA%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%A8%D9%87%D8%B0%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%85](#)

¹ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (سبق ذكره) ص ٣٥٦، ٣٥٥.

² تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (سبق ذكره) ص ٣٥٦، ٣٥٥.

ثم أهاب بالمسلمين أن يخلصوا الإيمان تعريضا بالمنافقين، ووعدهم بحسن العاقبة، وأن الله فضلهم على الأمم؛ لأن الفضل بيده يؤتية من يشاء.¹ وهنا نجد أن حصر وظائف العنوان ممكنا لنا؛ فنحن تذكرنا القوة، أي منعة الإنسان في حالة الحرب والأمن، فمن المعلوم أن الحديد رمز لكل شيء متين، فيه تشيّد البنيان وبه تصنع السفن والجسور، كما تصنع به الأدوات المستخدمة بالحرب؛ كالدرع، والسيوف، والرماح، والدبابات، وهلم جرا.

ونجد العنوان أيضا يركز على جانب معين جعلنا نقيده حرية التأويل، والعنوان هنا ليست كلمة بلا قيمة (حاشا لله)، بل هو بمثابة العتبة التي ندخل بها إلى النص، إذ فهو ليس زينة بل هو يؤثر في المتلقي مثله مثل النص الكبير التالي له، وهذه التسمية تحمل دلالة ظاهرة على قدرة الخالق سبحانه على الخلق والظواهر، وهنا نلاحظ بساطة التسمية وبعدها عن الغموض والإبهام، حيث أن الحديد معروف عند أقل الناس علما. "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ". وذلك أمر بإدراك المنافع في الحديد ... ولكن دين الله يقتضى منا التوغل وراء ذلك؛ لإدراك روح المسألة؛ بحثاً عن نفع آخر باق ... وبذلك يجمع المسلم بين نفع الدنيا ونفع الآخرة فالحديد والمنجنيز ليسا كل شيء ... فالحاج الذي يبكي عند الكعبة ليس مغفلا ... فهو يبكي بسبب علم آخر عميق هو علمه بنفسه، وعلمه بربه ... وهو واقف على عتبة من العلم أعلى من الذي وقف تعلمه علمه عند الحديد والمنجنيز وأين هذا العارف بنفسه والعارف بربه الآخر الذي توقفت معارفه عند المادة وقوانينها؟! . إن المغفل حقيقة هو الذي عرف المادة وغفل عن رب المادة.²

المبحث الثاني: مستويات تأسيس العنوان للسورة الكريمة؛

¹ تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (سبق ذكره) ص ٣٥٦، ٣٥٥.

² القرآن كائن حي، مصطفى محمود، ص ١٣٨. (التفاصيل غير موجودة على النسخة التي معي)

يعتبر اسم السورة نصا مستقلا في حد ذاته، يتطلب لفهمه وتأويله تحليل لغوي لبنيته السطحية، وقراءة لبنيته العميقة، وذلك بغية فهم متن السورة من خلال اسمها، فاسم السورة ومنتها كل لا يتجزأ، فكلاهما مكمل للآخر.

ولكن يختلف منهج دراسة العنوان عن دراسة النص؛ لافتقار العنوان إلى السياق، غير أن هذا لا يمنع من التعامل معه كنص تتسحب عليه الإجراءات السيميائية في مستوياتها الأربعة: الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي؛ على اعتبار أن هذه الأبعاد هي التي ستؤسس لدراسة العنوان؛ حيث تسمح لنا بالاقتراب من متن السورة الكريمة.

١- البنية الصوتية لاسم سورة الحديد:

سنحاول في البنية الصوتية النظر في العلاقات التي تربط بين اسم السورة ومنتها من خلال الأصوات البارزة والدالة، مع الربط بين هذه العلاقات بعد كشفها؛ لهذا سوف ننتبع ظاهرة الأصوات لسانيا داخل اسم السورة الكريمة، باعتباره ظاهرة لغوية تستدعي دراستها، واسم السورة هو لفظة الحديد، وأصل الحديد: حدد ومعنى الحديد المعدن المعروف.^١

هذا وقد ارتبطت لفظة الحديد بمتن السورة بعلاقات وثيقة؛ إذ ذكرت لفظة الحديد في السورة مرة واحدة في المتن على مستوى الكلمات، أما على مستوى الأصوات؛ فقد جاءت لفظة الحديد مكونة من الوحدات الصوتية التالية: ال | ح | دي | د.

وتتكون لفظة اسم السورة من: (الحاء، والdal الممدودة، والdal)، ولكل صوت صفاته الخاصة التي تميزه عن غيره، وارتبطت هذه الصفات بالمعاني التي جاءت في سورة الحديد، وأهم صوتين في هذه الوحدة اللغوية: هما صوتي الحاء والdal المشددة، ويتضح أن صوت الحاء قد تكرر ٢٧ مرة، ومثله أيضا حرف الdal ٢٧ مرة؛ فصوت الحاء حلقي يخرج من وسط الحلق، ومن صفاته الرخاوة، يمكنه الجريان بسهولة تامة دون انقطاع، ومهموس؛ فهو لا يحرك الأحبال الصوتية بقوة، والاستفال: أي انخفاض اللسان عند نطق الحرف مما يكسبه رقة، وأيضا من صفاته الانفتاح: أي انفتاح الفم

^١ معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر، طبعة منقحة، الجزء الأول ١٩٨٨م، ص ٢٧٥.

عند نطقه وعدم ارتفاع اللسان، وهذا يعني أن صوت الحاء في هذه السورة مقصود لذاته؛ لما يحتويه من صفات تعاكس صفات صوت الدال، وهو صوت لثوي، انفجاري، مجهور، مرقق، وبهذا تنتج في السورة صفتان صوتيتان متضادتان: ما يمثله صوت الحاء (الرخاوة، الهمس، الاستفال، الانفتاح)، وما يمثله صوت الدال (لثوي، انفجاري، مجهور، مرقق)، وهذا ما يصور الصراع المرير، الذي يلقاه المسلمون في مواجهة أعداء الله، ومحاربتهم بالسلاح، والذي يتوقف عليه مصيرهم: وهو النصر أو الشهادة، فالجهر والانفجار في حرف الدال يمثل: القوة الموجودة في قدرة الله عز وجل أثناء خلقه للكون كله، وقدرته سبحانه على حمايته، والاستفال في حرف الحاء تدل: على الظلمات والخسران الذي سيراه المنافق والمضل عن طاعة الله في الحياة الدنيا، والذي سيكون مصيره النار وبئس المصير.

٢- البنية الصرفية لاسم سورة الحديد:

ويعد المستوي الثاني من مستويات تحليل العنوان، وسندرس من خلال البنية الصرفية منطقية العلاقة التي تربط السورة بالصيغة الصرفية باسمها، ومناقشة العلاقة بين متن السورة والصيغة الصرفية لاسمها، وما إذا كان اسم السورة: فعلاً أو اسماً أو مشتقاً أو مصدراً، والسورة محل البحث سميت ببنية اسمية (الحديد)، والاسم دال على الثبوت؛ لأنه يتعالى على الزمن وتحولاته، وتوسل العنونة بالتسمية يضمن لها الثبات، وتختفي مسافة الاختلاف بين الاسم والعنوان بذلك في الوظيفة، وإذا جعلنا من الاسم معياراً للعنونة؛ فإن العنونة بالجملة الفعلية يعد شرحاً وانزياحاً عن المعيار الأمر الذي يؤدي إلى إنفاسح مساحة الاختلاف بين الاسم والعنوان؛ فالعنوان الفعلي يؤدي وظيفة التسمية، وفي الوقت نفسه يحدد الدلالة الزمنية لحدث العنوان.

والحديد: اسم جامد جمع، فقد جاءت لفظة الحديد مرة واحدة في متن السورة من خلال الآية التالية:

"لقد أرسلنا رُسُلنا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"

ولفظة الحديد اسم جامد: يدل علي القدرة والقوة فهي مشتقة من (حدد، وحد) كما تدل أيضاً علي المعدن، وسمي بهذا؛ لميزة أساسية وهي الحرب ضد المنافقين؛ وهذا يبين ضرورة الاجتماع البشري للمسلمين؛ حتي تتحقق لهم القوة والنصر، وهذا المعني هو الذي سيوضح مصدر النفاق والضلال، الذي حذر منه المولي (عز وجل) في السورة الكريمة، ووجوب الدعوة إلي الإيمان الصادق وترسيخه في القلب، بالإضافة إلي الترغيب في الإنفاق في سبيل الله، والنور المضئ الذي سيراه المؤمن يوم القيامة، فلو عاش الإنسان بمفرده لما وجدت دواعي الحروب التي تفرزها طبيعة العلاقات الإنسانية.

٣- النية النحوية لاسم سورة الحديد

سورة الحديد جملة اسمية جاءت علي النمط التالي: مبتدأ محذوف (اسم اشارة) + خبر نكرة + مضاف إليه (علم معرف ب ال) نحو قولنا :هذه سورة الحديد، ولم يرد اسم الإشارة في جملة اسم السورة، وإنما قدر تقديراً.

فوجود لفظة الحديد إلي جانب لفظة سورة لا تزيدها تعريفاً في الدلالة، وإنما علي المستوي الوظيفي فقط؛ لأن الإضافة في اللغة ستجعل النكرة معرفة، وبالتالي فإن إضافة لفظة الحديد إلي لفظة سورة لن تحدها أو تعرفها وإنما الذي يتحدد في ذهن المتلقي؛ أن السورة هي مجموعة من الآيات تسمي بالحديد.

هذا وقد ذكر لفظ الحديد نظراً لأهميته وتتمركز الفائدة المادية فيه دون المبتدأ الذي يتكرر في أسماء السور جميعها ، فضلاً علي أن طبيعة العنوان تدعو إلي الإيجاز والاختصار .

إن لفظة الحديد معرفة ونوعها اسم علم، وموقعها الإعرابي مضاف إليه، تكمن فيه الفائدة المادية التي أرادت جملة اسم السورة إيصالها للمتلقي، أي تمثل هذه اللفظة

محور للجملة، ومن هنا تشكل كلمة الحديد بؤرة جملة اسم السورة؛ والبؤرة في النحو الوظيفي تمثل المكون الأساسي وبدونه تفقد الجملة فائدتها المعنوية، إذا اتحد معناها اللغوي مع موقعها الإعرابي في التركيب لأداء الوظيفة الموكلة إليها، وهي تعريفها للسورة وإخراجها من دائرة الإيهام والغموض، وبهذا ترتبط كلمة الحديد ارتباطاً عضوياً بمتن السورة؛ وذلك لأن الحديد: هو الملجأ الوحيد للناس حين يعرضون للحروب، فمدار موضوع السورة كله كان حول الحديد محتاجين الناس إليه دون سواه في السلم والحرب.

١ - البنية الدلالية لاسم سورة الحديد:

واسم السورة علامة عليها ((وتستعي من أجل بناء نظامها الداخلي، ثلاثة عناصر هي ما يكون العلامة ويضمن استمرارها في الوجود: ما يقوم بالتمثيل "مأثول"، وما يشكل موضوع التمثيل "موضوع"، وما يشتغل كمفهمة تقود إلى الامتلاك الفكري التجربة الصافية مؤول)).^١

وفائدة التسمية في النص القرآني؛ أن تكون بما يميز السورة عن غيرها، لأن العنوان عبارة عن مظهر من مظاهر الإسناد والوصل والربط المنطقي ((النص إذا كان بأفكاره المبعثرة، مسندا، فإنّ العنوان مسند إليه، فهو الموضوع العام، بينما الخطاب النصي يشكل أجزاء العنوان الذي هو بمثابة فكرة عامة أو محورية، أو بمثابة نص كلي)).^٢

وعليه فإننا من خلال مقارنتنا السيمائية لأسم السورة نسترجع للعتبة الأولى للنص القرآني نصيبها من الاهتمام، كأول علامة تنصدره وهي تسميته؛ عسى وأن يصبح اسم السورة و بمجرد الوقوف عليه يمكن المتلقي من دلالات النص، فيختصرها له عبر إحياءات التسمية، فتبقى راسخة معانيها تتجلى له من خلال هذه المرجعيات

^١ السيميولوجيا والقراءة والتأويل، سعيد بن كراد، مجلة علامات، العدد ١٠، ١٩٩٦م، ص ٤٤.

^٢ سيميوطيقا العنوان، جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الطبعة الثانية ٢٠٢٠م، ص ٩٧.

البسيطة في التسمية، لتعيده في كل لحظة تأمل فيها إلى مضامين النص ومقاصده، فكأنما اسم السورة صار رمزا مجسدا للمعاني التي أراد النص أن يقولها.^١

واسم سورة الحديد يمكن ادراجه ضمن الحقل الدلالي لأسماء السور الدالة على دلائل القدرة على الخلق والظواهر وأصنافها والتحكم فيها، ودلالة اسم الحديد هنا على السلاح من سيوف ودروع وخوذ، تتويها به إذا هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته، وإلهام الناس صنعه لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفاع المعتدين.

وما نلحظه من هذا الحقل الدلالي بساطة التسمية وبعده عن الغموض، فهذا الاسم معروف عند أقل الناس معرفة.

وبهذا تتضح شبكة العلاقات اللغوية بين متن السورة الكريمة واسمها "الحديد"، من حيث قصد التسمية واختيارها بما يلائم المضمون لدواعي دلالية وجمالية ومادية، تجعل المتلقي يسير وفق هذه القصدية في دراسة النص، واستئذانا بالدخول إلى عالمه؛ ليفصح عما في داخل العنوان بوصفه صورة أيقونية تشغل حيزا بارزا في الصفحة تدعو للتأويل السيميائي.^٢

^١ أسماء السور في القرآن الكريم (سبق ذكره) ص ٦١، ٦٢.

^٢ علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٣٦.

المصادر والمراجع:

- ١- أسماء السور في القرآن الكريم، مقارنة لسانية سيميائية، سليمة جلال، رسالة ماجستير في الأدب العربي، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.
- ٢- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٣- تحرير المعنى السديد وتووير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٣هـ، الجزء الأول.
- ٤- سيمياء العنوان، بسام موسى قطوس، أستاذ النقد الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، وزارة الثقافة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ٥- سيميوطيقا العنوان، جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الطبعة الثانية ٢٠٢٠م.
- ٦- السيميولوجيا والقراءة والتأويل، سعيد بن كراد، مجلة علامات، العدد ١٠، ١٩٩٦م.
- ٧- علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- ٨- العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- ٩- القرآن كائن حي، مصطفى محمود، ص ١٣٨. (التفاصيل غير موجودة على النسخة التي معي)
- ١٠- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر، طبعة منقحة، الجزء الأول ١٩٨٨م، ص ٢٧٥.

١١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن
إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الجزء التاسع
عشر.